صفات ورثة الفردوس
دراسة موضوعية للآيات (١-١١) من سورة "المؤمنون"

إعداد الباحثة:
حنان عبد الله بالبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله – تعالى- نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستنصره ونسترضيه، ونعذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، أما بعد:

فقد أعدَّ الله- سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين نعيماً مُقيماً يفوق الوصف، ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال – صلى الله عليه وسلم-: «**قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾** [السجدة:١٧]»[(١)]، وفي رواية أخرى: أن النَّبِيَّ – صلى الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٤)، (١١٨/٤).

عليه وسلم- قَالَ: «**قَالَ اللهُ- عَزَّوَجَلَّ-: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ**»[(١)]، (**بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ**). أي: دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم[(٢)].

ومما جاء ذِكرُه في القرآن من نعيمها قوله – تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ [الإنسان: ٤-٢٢].

ومما جاء في السنة في وصفها، ما ذكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في وَصْفِ بنائها حينما سأله الصحابة- رضي الله عنهم-، فقال – صلى الله عليه وسلم-: «**لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا**[(٣)] **الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ**[(٤)]**، وَحَصْبَاؤُهَا**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٤)، (٤/٢١٧٤).

(٢) حاشية صحيح مسلم (٤/٢١٧٤).

(٣) والمِلَاطُ: الَّذِي يملُط بِالطِّينِ، يُقَالُ: ملَطْت مَلْطاً. وملَط الحائطَ مَلْطاً ومَلَّطَه: طَلاه. والمِلاط: الطِّينُ الَّذِي يُجعل بَيْنَ سافَيِ البِناء ويُمْلَطُ بِهِ الْحَائِطُ. لسان العرب، ابن منظور (٧/٤٠٦).

(٤) مسك أذفر. أي: شديد الرائحة. ينظر: ابن سلام، غريب الحديث، (٣/٢٣٧).

اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»[1]، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠].

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول، ولا يصل إليه الخيال، قال – تعالى–: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

والجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها، قال ابن تيمية: "والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم. قال الله – تبارك وتعالى–: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ١٨-٢١]، فبين الله – سبحانه وتعالى– أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ،وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال– تعالى–: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢١]، فبين الله– سبحانه– أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا. وتفاضل أنبيائه– عليهم السلام– كتفاضل سائر عباده المؤمنين. فقال – تعالى–:

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (٨٠٣٠)، حكم الحديث (صحيح الإسناد)، (١٣٧/٨).

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]..."[(١)].

والفردوس الأعلى هو أعلى الجنة وأوسطها، جاء في صحيح البخاري أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «... **فإذا سألتم الله، فاسألوه الفروس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن – ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(٢)].

وقد أثنى الله- سبحانه- على المؤمنين في مطلع سورة المؤمنين بصفات عدَّة ووصف أهلها بالفلاح، ثم ختم هذه الصفات ببشرى عظيمة، وهي الفردوس الأعلى، قال - سبحانه- مبينا جزاء المؤمنين المتصفين بتلك الصفات: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون:١٠،١١]، وأهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة، فقد جعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين: منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ – تعالى-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ﴾** [المؤمنون:١٠]»[(٣)].

أهمية الموضوع:

إن صفات المؤمنين الصادقين المتقين، أهل الإيمان والطاعة، كثيرة في القرآن الكريم، ومواضعها متعددة، والمؤمن الصادق يحرص كل الحرص على هذه الصفات

(١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد القاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ)، (١١/١٨٨، ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي، حديث رقم (٢٧٩٠)، (٤/١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، حديث رقم (٤٣٤١)، حكم الألباني: صحيح، (٢/١٤٥٣).

والأخلاق، لتبقى حياته حياة إيمانية ذات قيمة، وليسعد في الحياة الدنيا، وينال رضوان الله – تعالى– وجنته يوم القيامة.

وقد ذكر الله – سبحانه وتعالى– بعض هذه الصفات في بداية سورة المؤمنين، وأخبر أن المتصفين بها هم المؤمنون المفلحون، قال – تعالى–: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون:١] ثم أتبعها بصفاتهم، ثم ذكر في خاتمتها أن من اتصف بتلك الصفات فهم الذين يُورِّثُهُم الله – سبحانه وتعالى– الفردوس الأعلى، قال– تعالى–: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

ولمَّا كانت هذه الصفات ذات أهمية ومكانة ومنزلة عظيمة عند الله– سبحانه وتعالى–، آثرت أن أجعل بحثي تفسيرا وبيانا لهذه الصفات، صفات ورثة الفردوس.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخص أسباب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي:

١– إنَّ الجنة هي أمل المؤمن وغاية مطلوبه في هذه الدنيا وبعد مماته.

٢– الرغبة في إبراز الصفات التي بسببها يرث المؤمنون الفردوس الأعلى.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وسبعة مطالب، وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

المطلب الأول: فلاح المؤمنين.

المطلب الثاني: الخشوع في الصلاة.

المطلب الثالث: الإعراض عن اللغو.

المطلب الرابع: فعل الزكاة.

المطلب الخامس: العفة.

المطلب السادس: رعاية الأمانة والعهد.

المطلب السابع: المحافظة على الصلاة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

سورة (المؤمنون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾

[المؤمنون: ١-١١]

صفات ورثة الفردوس

المطلب الأول

فلاح المؤمنين

يخبرنا الله – سبحانه وتعالى– في مطلع السورة خبرا مؤكدا بفلاح المؤمنين وظفرهم بما يرجونه؛ وذلك بسبب إيمانهم وتصديقهم بما أخبر الله به، وعملهم بما أمر به– سبحانه– مما جاء في صفاتهم التي ذكرها الله– عز وجل– في هذه السورة وغيرها، وانتهائهم عما نهى الله عنه، فيكون نتيجة ذلك الفوز بالفردوس الأعلى من الجنة، والبقاء فيها وفي نعيمها الدائم.

وفلاح المؤمنين يشمل فلاحهم في الدنيا بما يستقر في قلوبهم، ويجدون مصداقه في حياتهم، وذلك يشمل ما يعرفه الناس من معاني الفلاح، كسعادتهم بما هم فيه من الخير الذي يوفقهم الله إليه، وتيسير أمورهم، ومحبة الله– سبحانه– التي هي أهم ما يظفرون به في دنياهم، ورحمة الله بهم، ومعيته لهم في كل حين، وبالخاتمة الحسنة التي يكرمهم الله بها، ثم النعيم الذي سيجدونه في قبورهم، ثم إرثهم للفردوس الأعلى والتي هي من أعظم البُغْيَات التي ينتظرونها، والتي عملوا من أجلها.

وقد ذكر الله- سبحانه بعد تأكيد فلاحهم- بيانا للصفات التي اتصفوا بها، وفي ضمنها الحث عليها، والترغيب فيها؛ ذلك لأن تلك الصفات كانت سببا في فلاحهم وفوزهم بالفردوس الأعلى، فبذكرها يتبين للعبد بأي شيءٍ حصَّل أولئك المؤمنون الفلاح.

ومضمون هذه الصفات: القيام بالواجبات الظاهرة والباطنة، واجتناب المحرمات والمكروهات، وهي صريحة في أن الإيمان يشملُ عقائد الدين، وأخلاقه، وأعماله الظاهرة والباطنة. والإيمان يزيد بزيادة هذه الأوصاف وقوة تحققها في العبد، وينقص بنقصانها، فالناس في الإيمان درجات متفاوتة بحسب تفاوت هذه الأوصاف فيهم[1].

المطلب الثاني
الخشوع في الصلاة

الصفة الأولى للمؤمنين المفلحين ورثة الفردوس الأعلى هي الخشوع في الصلاة، قال – تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:٢]، فأثنى الله- سبحانه وتعالى- على خشوع المؤمنين في الصلاة؛ إذ الخشوع هو لب الصلاة وروحها، والصلاة بلا خشوع كالجسد بلا روح، والأصل أن يخشع القلب ثم تتبعه الجوارح، فيُقْبِل العبد على الله- عز وجل- بقلبه وجوارحه معا، قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- في قوله – تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:٢]: «كانوا

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ٢٤ج، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، (٦٩٤/١٩)، تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ٥٤٧، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ٥٢. سيد قطب الشاربي، في ظلال القرآن، ٦ج، ط١٧، (دار الشروق، ١٤١٢هـ)، (٢٤٥٤/٤).

إذا قاموا في الصّلاة، أقبلوا على صلاتهم، وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم. وعلموا أنّ الله يُقبل عليهم فلا يلتفتون يمينا ولا شمالا»[(١)].

فعلى المؤمن أن يفرغ قلبه لله – سبحانه وتعالى– أثناء صلاته؛ لأنه بهذا يسكن القلب، وتطمئن النفس، وتسكن حركاته، وتقل التفاتة جوارحه، تأدبا مع ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته من أولها إلى آخرها؛ فتذهب بذلك الوساوس والأفكار السيئة، وهذا روح الصلاة ولُبُّها.

والخشوع يحتاج إلى مجاهدة نفس، واستعانة بالله، فعلى المسلم أن يستعين بالله ويبذل جهده في تحصيل الخشوع، وذلك لعدة أسباب:

١– الأجر العظيم الذي جعله الله للخاشعين، وهو هنا الفردوس الأعلى، وأي جزاء أعظم من ذلك.

٢– حتى يظفر العبد بالفلاح الدنيوي والأخروي، إذ الخشوع من صفات المؤمنين المفلحين الذين أكد الله فلاحهم في مطلع السورة.

٣– حتى تكون صلاته كما وصفها الله– عز وجل–: ﴿**تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت:٤٥]، فإنَّ "العبد المقيم لها، المتمِّم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، **ويزداد إيمانه**، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، **تنهى عن الفحشاء والمنكر**، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها..."[(٢)].

٤– زيادة الإيمان، فالصلاة الخاشعة مما يزيد بها الإيمان، إذ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، (٦/٨٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٣٢.

٥- حتى تكون الصلاة عونا للعبد وزادا له -مع الصبر- على كل أموره الدينية والدنيوية، قال - تعالى-: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥] وقد أمر الله -تعالى- "بالاستعانة بالصلاة؛ لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء"[(١)].

٦- حتى تكون الصلاة هي راحته وأُنسُه كما كان -صلى الله عليه وسلم- يقول «**قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بالصَّلَاةِ**»[(٢)]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «... **وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[(٣)]، قال ابن القيم:"وتأمل كيف قال أرحنا بها ولم يقل أرحنا منها، كما يقوله المتكلف بها الذي يفعلها تكلفًا وغرمًا، فهو لما امتلأ قلبه بغيرها وجاءت قاطعة عن أشغاله ومحبوباته، وعلم أنه لا بد له منها فهو قائل بلسان حاله وقاله: نصلي ونستريح من الصلاة لا بها، فهذا لون وذاك لون آخر، فالفرق بين من كانت

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٧٤.

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، حديث رقم (٤٩٨٦)، حكم الألباني (صحيح)، (٢٩٦/٤).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الصغرى، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، حديث رقم (٣٩٤٠)، حكم الألباني (صحيح)، (٦١/٧).

الصلاة لجوارحه قيدًا أو لقلبه سجنًا، ولنفسه عائقًا، وبين من كانت الصلاة لقلبه نعيمًا ولعينه قرة ولجوارحه راحة، ولنفسه بستانًا ولذة.

فالأول الصلاة سجن لنفسه وتقييد لها عن التورط في مساقط الهلكات وقد ينالون بها التكفير والثواب وينالهم من الرحمة بحسب عبوديتهم لله فيها.

والقسم الآخر الصلاة بستان قلوبهم، وقرة عيونهم، ولذة نفوسهم، ورياض جوارحهم فهم فيها يتقلبون في النعيم، فصلاة هؤلاء توجب لهم القرب والمنزلة من الله ويشاركون الأولين في ثوابهم ويختصون بأعلاه وبالمنزلة والقربة وهي قدر زائد على مجرد الثواب..."[١].

ومما يُعين العبد على الخشوع عدة أمور؛ منها:

١-أن يستحضر العبد أنَّ الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ**»[٢].

٢-استشعار العبد أنه يناجي خالقه في الصلاة؛ لذلك نهينا عن البصاق أمامنا وعن أيماننا في الصلاة؛ قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة،**

(١) ذوق الصلاة عند ابن القيم، عادل الزرقي، ص ٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، حديث رقم (٤١٣)، حكم الألباني: صحيح، (٢٦٩/٢).

فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه، فإن عن يمينه ملكا، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه، فيدفنها»[(١)].

٣–معرفة العبد لربه واستشعاره أنه واقف بين يدي ملك الملوك لذلك نُهينا عن النظر إلى السماء أثناء الصلاة، قال –صلى الله عليه وسلم–: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم**»، فاشتد قوله في ذلك، حتى قال: «**لينتهُن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**»[(٢)]، فتبين أنَّ المشروع في الصلاة "استقبال القبلة والانتصاب إليها وترك الالتفات والنظر إلى جهة، وفى رفع البصر إلى السماء إعراض عن القبلة، وخروج عن هيئة الصلاة"[(٣)].

٤–أن الصلاة طُهرة للمسلم من الذنوب، فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهن كما قال –صلى الله عليه وسلم–: «**مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً**»[(٤)]، فظهر من الحديث أنَّ إقامة الصلاة حق القيام وإحسان الوضوء؛ يكفر الله به للعبد ما بين الصلاة والصلاة من الصغائر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب دفن النخامة في المسجد، حديث رقم (٤١٦)، (٩١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، حديث رقم (٧٥٠)، (١٥٠/١).

(٣) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، (٤٣٨/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهرة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، حديث رقم (٢٢٨)، (٢٠٦/١).

٥-استشعار العبد أن أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد في صلاته، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[(١)]، وهذا الشعور يجعل العبد يتذلل لربه ويخضع له فيلين قلبه.

٦-أن لا يلتفت ولا ينشغل بغير الصلاة، فإنما هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، قال -صلى الله عليه وسلم- حين سألته عائشة رضي الله عنها عن الالتفات في الصلاة، فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[(٢)].

فإذا استشعر العبد وقوفه بين يدي ربه، وأنه يناجيه، كان هذا من سُبُلِ الخشوع لله وتعظيمه حق التعظيم، وإذا خشع القلب لله عزوجل تعظيما ومحبة وخوفا ورجاء، تبعته الجوارح في ذلك.

المطلب الثالث
الإعراض عن اللغو

الصفة الثانية من صفات ورثة الفردوس، الإعراض عن اللغو، قال – تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون:٣]، والمراد بإعراض المؤمنين عن اللغو؛ تجنبه وعدم التفاتهم إليه، وإعراض المؤمنين عن اللغو صفة ثابتة مستمرة فيهم؛ لما تدل عليه الجملة الإسمية، وذلك لأن بهم من الجدّ ما يشغلهم عن الهزل[(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٢)، (٣٥٠/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة، حديث رقم (٧٥١)، (١٥٠/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٦/٤)، والكشاف، الزمخشري، (١٧٩/٣)، وفتح القدير، الشوكاني، (٥٦١/٣). روح المعاني، الآلوسي، (٢٠٨/٩).

ومن صور اللغو الذي لا بد أن ينزه المؤمن نفسه عنه عدة أمور:

١- المعاصي، والمحرمات، والشركيات: كالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور، والأقوال التي تعد شركا، فيحفظ المؤمن دينه بالابتعاد عن هذه المعاصي والمحرمات والشركيات؛ ليسلم إيمانه ويسلم دينه.

٢- كل قول أو فعل باطلا كان أو قبيحا، وكل ما لا فائدة منه، ولا خير فيه، كاللعب والهزل وما توجب المروءة البعد عنه.

٣- الكلام الذي يُشيعه الناس مما لا أصل فيه للصحة، فإن المؤمن يعرض عنه، ويتثبت فيه، ولا يشيعه بين الناس بمجرد سماعه.

٤- المجالس التي فيها سخرية واستهزاء لإضحاك الناس، سواء كان استهزاء بالدين أو أهله أو غير ذلك، أو فيها ما يقدح في دينه، فيعرض المؤمن عن مخالطة أهلها؛ حتى لا يكون مشاركا لهم في الإثم[(١)].

وللأسف الشديد، فقد كثر اللهو في هذا العصر، متمثلا في صور كثيرة، قولية وفعلية من قنوات، ولعب، وعبث، وتضييع للأوقات على الشبكة العنكبوتية، وقضاء الأوقات الطويلة في متابعة الشبكات الاجتماعية الموجودة فيه، والتي تشتمل في كثير من الأحيان على أنواع متعددة من اللغو، فتنقضي الأوقات وتُهدر الطاقات، والمؤمن ينبغي أن يكون حريصا على وقته فهو أغلى ما يملك، وأهم ما يعنى بحفظه.

والإعراض عن اللغو لا يعني أن لا يروّح المؤمن عن نفسه بين الحين والآخر، ولكن في حدود الشرع، وفي أوقات دون أوقات، بحيث لا تضيع كل أوقاته هدرا.

(١) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٠٩/٥)، والكشاف، الزمخشري، (١٧٩/٣)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (١٣٦/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٦٢/٥). وفي ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٤٥٤/٤).

المطلب الرابع
فعل الزكاة

الصفة الثالثة من صفات ورثة الفردوس، فعل الزكاة، قال – تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون:٤]، **والمراد بالزكاة في هذه الآية** والذين هم للعمل الصالح فاعلون[١]، والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون[٢]، فأثنى الله- عز وجل- في هذه الآية على المؤمنين المزكين لأنفسهم، بإخلاص العبادة لله- عز وجل-، والأعمال الصالحة، وطاعة الله- عز وجل- وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتطهيرها من الشرك، والمعاصي، والأمراض القلبية، والأخلاق الرديئة، وهذا كله من صفات المؤمنين المفلحين، قال- تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]، فالفلاح الحقيقي هو بتزكية النفس بالطاعة والعمل الصالح.

وأما التزكية المنهي عنها في قوله – تعالى-: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢]، هي تزكية المدح والإخبار عن النفس، فيمدح الإنسان نفسه بأنه تقي أو أنه ولي لله، أو أنه يصوم أو يقوم الليل، أو يتصدق، وهذا نهى الله عنه، وأخبر أنه هو وحده الذي يعلم بتقوى العبد، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم:٣٢]، وهذه التزكية منافية لصفات المؤمنين المتقين، وهي تُنقص قدر الإنسان عند الناس، وتوجب مقت الله على العبد، وتزكية النفس تنافي التواضع لله- سبحانه-، والذُّلَّ لَهْ، والخضوع له، والخوف منه، وعلى العبد أن ينشغل بصلاح نفسه عن تزكيتها أمام الناس.

وكذلك أثنى في هذه الآية على المزكين لأموالهم، وقد أوجب الله- عز وجل- على المؤمنين إخراج زكاة أموالهم لمستحقيها، وذلك على اختلاف أجناس الأموال،

(١) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٤٠٩/٥).

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري (١٠/١٩)، ومعالم التنزيل، البغوي، (٤٠٩/٥)، والمحرر الوجيز، ابن عطية، (١٣٦/٤).

وفي هذا امتحان للغني هل يؤدي ما عليه من حق فيما ملَّكه الله إياه، أو يبخل به لنفسه، فلا يؤدي حقه ولا يطهر ماله؟

ولأهمية الزكاة وعظم شأنها من الدين، قرنها الله – سبحانه وتعالى– بالصلاة في كثير من المواضع في القرآن الكريم: كقوله– سبحانه–: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣] فقُرِنت بالركن الثاني من أركان الإسلام.

ويدل على وجوبها وعلى أنها طريق إلى الجنة إذا أديت مع باقي أركان الإسلام: ما أخرجه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم–، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «**تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»(١).

وقد بيَّن الله – سبحانه وتعالى– جزاء مانع الزكاة، قال – تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة:٣٤]؛ لهذا على المسلم أن يؤدي حق الله في ماله، ولا يخشى الفقر والفاقة، فإنه بأدائه حق ربه يُبَارَكُ له في ماله، ويفتح الله عليه الخير الكثير.

وصدقة التطوع– أيضا– مما يزكو به المال، وتزكو به النفس، وهي مستحبة في كل الأوقات، وقد أخبر الله– سبحانه– عن عظيم أجرها في كتابه فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، حديث رقم (١٣٩٧)، (٢/١٠٥)

وقد رُوي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الترغيب فيها ولو بالقليل كشق تمرة، فهي من ما ينجوا به العبد من النار، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»(١)، وأخبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمضاعفة الله لصدقة عبده الطيبة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٢)، فعلى العبد أن يتصدق على الفقراء كلما سنحت له الفرصة حتى يباعد الله بينه وبين النار.

وبهذا تدل الآية على أن التزكية المطلوبة من المؤمن هي تزكية المال وتزكية النفس بالعمل الصالح(٣).

المطلب الخامس
العفـــة

الصفة الرابعة من أوصاف المؤمنين المفلحين حفظ الفرج وهي صفة العفة، قال - تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٥-٧]، فمن صفات المفلحين ورثة الفردوس حفظ فروجهم عن الفاحشة وعن من لا يحل، إلا على أزواجهم أو ملك يمينهم فإنهم غير ملامين فيهم، والخطاب هنا في هذه الصفة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، حديث رقم (١٤١٧)، (١٠٩/٢)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: باب الصدقة من كسب طيب لقوله: {ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٢٧٧]، حديث رقم (١٤١٠)، (١٠٨/٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، (٤٦٢/٥)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٥٤٧.

موجَّه للرجال دون النساء بدليل قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، وإنما عرف الأمر بالعفة للنساء من أدلة أخرى كآيات الإحصان، وغير ذلك من الأدلة، والمرأة لا يجوز لها أن تستمتع بملك يمينها، للإجماع على أنه لا يحل للمرأة أن يطأها من تملكه، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء، ولكنها لو أعتقته بعد ملكها له جاز له أن يتزوجها كما يجوز لغيره.

وقد بيَّن- سبحانه- في الآيات من يحل للرجل الاستمتاع بهن، وهن الزوجات، فله أن يتزوج واحدة، أو اثنتين، أو ثلاثة، أو أربعة، وكذلك له أن يستمتع بملك يمينه، وهؤلاء لا يلام فيهن إلا إذا كان على وجه لم يأذن فيه الشرع، كإتيانهن في الدبر، أو حال الحيض والنفاس، فإنه فعل محظور وهو على فعله ملوم، وصفة حفظ الفرج التي مدحهم بها، دليل على منتهى عفافهم وإعراضهم عن كل ما لا يحل، وعن كل من لا يحل.

ثم إنَّ من طلب غير الذي أحل الله له، قد تعدى وتجاوز الحلال إلى الحرام، ويكون بهذا أتى بما يخالف الشرع، قال – تعالى-: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون:٧]، وقوله- سبحانه-: ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: وراء هذا الحد الذي حده الله[(١)].

وقد حذرنا الإسلام من خطوات الشيطان التي توصل إلى هذه الفواحش والمحرمات، ومن سبل الوقاية من هذه الفواحش، غض البصر للنساء وللرجال في القرآن، وقد أتبعه بحفظ الفرج، مما يدل على أن النظر طريق وسبيل إلى هذه الفواحش، قال – تعالى-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٣٦/٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٦٢/٥، ٤٦٣)، فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (٩٧/٩، ٩٨)، وأضواء البيان، الشنقيطي، (٣٠٨/٥ – ٣١٩).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، وأمر النساء أن يغضضن أبصارهن، وأتبعه أيضا بحفظ الفرج، ثم بأمرهن بإخفاء الزينة، إلا على أزواجهن ومحارمهن، ونهاهن عن الضرب بالأرجل حتى لا يعلم ما تخفي المرأة من الزينة فيكون لذلك وقعه على قلب الرجل، فيكون ذلك الضرب بالأرجل طريقا للزنا، وقد جاء ذلك في سورة النور في قوله – تعالى–: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

والمؤمن والمؤمنة ينبغي أن يحرصا على أوامر الله ويجتنبا نواهيه؛ ليكون الجزاء جنة عرضها السماء والأرض.

المطلب السادس
رعاية الأمانة والعهد

الصفة الخامسة من صفات المؤمنين المفلحين ورثة الفردوس هي رعاية الأمانة والعهد، قال – تعالى–: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾ [المؤمنون: ٨]، وقد أثنى الله– عز وجل– على المؤمنين الذين يحفظون ويؤدون ما ائتمنوا عليه وعوهدوا عليه، سواء كان بينهم وبين الله، أو بينهم وبين الناس.

ويتضمن حفظ العهد والأمانة عدة أمور:

١- أوامر الله - سبحانه وتعالى- ونواهيه، وهي مما استودع الله العبد عليه، وأمره بحفظه، فيؤدي ما أوجبه الله عليه، وينتهي عما نهاه الله عنه، ويحفظ نفسه وجوارحه عما لا يرضاه الله- عز وجل- من الأقوال والأعمال.

٢- الأمانات التي تكون بين الناس بعضهم بعضا، كالأشياء النفيسة التي يخشى الإنسان عليها، فيأتمن عليها أحد الناس، ليحفظها له، وكثيرا ما تكون من النفائس، وقد يُغري هذا المؤتمن عليها لأن يأخذها أو ينكر وجودها عنده، خاصة وأن الأمانة قد تودع عند المؤتمن دون إشهاد؛ لذلك جعل الله- عز وجل- ردها ورعايتها من دلائل الإيمان.

٣- العهود والعقود التي تكون بين الناس، سواء المسلمين بعضهم بعضا: كعقود البيع، وعقود النكاح وغيرها، أو العهود التي بين المسلمين وغير المسلمين، فيجب على المسلم مراعاة هذه العقود وحفظها، وأداء ما توجبه عليه من حقوق لغيره.

٤- المسؤوليات التي تلقى على الإنسان، ويكلف بها، فعلى المسلم أن يقوم بمسؤولياته على أفضل وجه، وأن يرعى فيها حق الله وحقوق العباد.

٥- رعاية الأبناء من الأمانات التي سيسأل عنها العبد يوم القيامة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي، حديث رقم (٢٥٥٤)، (٣/١٥٠).

٦- تبليغ العلم والشريعة على الوجه الصحيح[١].

ومما سبق يتبين أنَّ حفظ الأمانة والعهد من شعب الإيمان، وأنَّ الأمانة والعهد يشملان كل ما أخذ على العبد، وكل ما كلف به شرعا، وكل ما ائتمنه إياه الناس، وكل ما عاقدهم عليه.

المطلب السابع
المحافظة على الصلاة

الصفة السادسة من صفات المؤمنين المفلحين ورثة الفردوس، محافظتهم على صلواتهم، قال- تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾[المؤمنون:٩]، **قال قتادة: على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها،** فأثنى الله - سبحانه وتعالى- في هذه الآية على المؤمنين المحافظين على صلواتهم في أوقاتها، المتِمّين لأركانها، وشروطها، وسننها.

وقد جعل الله - تعالى- للصلوات أوقاتا لا تصح إلا فيها، قال- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[النساء:١٠٣]،"ودل قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على أن الصلاة ميزان الإيمان، وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته وتتم وتكمل"[٢]، وقد أمر الله- عز وجل- بالمحافظة عليها في قوله- تعالى-: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، **وأثنى على المؤمنين المداومين على صلواتهم** في سورة المعارج في قوله - تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، (١١/١٩)، ومعالم التنزيل، البغوي، (٤١٠/٥)، والكشاف، الزمخشري، (١٨٠/٣)، والمحرر الوجيز، ابن عطية (١٦٨/٤)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/١٨، ١٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٩٨.

[المعارج:٢٣]، ومما يدل على عِظم شأنها، أنه أوجبها حتى على المجاهدين في أرض المعركة، والمسافر في سفره، والمريض على فراشه.

ومن هنا تظهر أهمية الصلاة ومنزلتها من الإسلام؛ إذ هي عمود الإسلام، وركنه الثاني بعد الشهادتين، وهي من دلائل الإيمان، ومن كان لها مضيعا فهو لما سواها أضيع، فينبغي أن يوطن المؤمن نفسه على إقامتها حق القيام والمحافظة عليها في أوقاتها التي فرض الله، وفي افتتاح أوصاف المؤمنين المفلحين وختمها بأمر الصلاة دليل على عظم شأنها.

ومما يعين على إلزام النفس وحملها على المحافظة على الصلاة في أوقاتها عدَّة أمور:

١- أن المحافظة عليها من أسباب دخول الجنة ونيل الفردوس الأعلى، كما بين الله في هذه السورة.

٢- أن الحفاظ على أدائها في أوقاتها من أحب الأعمال إلى الله عزوجل، فقد سُئِل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أحب العمل إلى الله فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**الصلاة على وقتها**... »[(١)].

٣- أن للصلاة منزلة عظيمة عند الله عزوجل فهي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ،**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم (٨٥)، ١/٩٠).

فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»[1].

٤- أن الله ذم وتوعد المضيعين لصلاتهم، بأنهم سيَلْقَون عذابا شديدا مضاعفا، قال - تعالى-: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾ [مريم:٥٩]، "**والظاهر أن من أخَّر الصلاة عن وقتها، أو ترك فرضا من فروضها، أو شرطا من شروطها، أو ركنا من أركانها فقد أضاعها، ويدخل تحت الإضاعة من تركها بالمرَّة أو جحدها دخولا أوليا**"[2].

٥- أن التكاسل عند القيام إلى الصلاة من صفات المنافقين، قال - تعالى-: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢]، "**والكسل لا يكون إلا مِن فَقْدِ الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم الكسل**"[3].

٦- أن المصلين حالهم مختلف عن غيرهم من الناس؛ إذ الإنسان بطبيعته جزوع عند البلاء، لا يشكر الله على نعمه، ولا ينفقها في سبيل الله، قال - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، حديث رقم (٤١٣)، حكم الألباني (صحيح)، (٢٦٩/٢).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٥٦١/٣، ٥٦٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢١٠.

﴿صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج:١٩-٢٣]، فهؤلاء المصلون "إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا"(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨٨٧.

الخاتمة

في ختام هذا البحث توصلت لعدة نتائج أُلخِّصها فيما يلي:

١- فلاح المؤمنين يصاحبهم في دنياهم وآخرتهم، ومعرفة العبد لصفات أهل الإيمان واستحضارها في ذهنه، يدفع العبد للاتصاف بها.

٢- افتتاح صفات المؤمنين بخشوعهم في الصلاة، يدل على عظم شأنها، وعظم شأن الخشوع فيها، وأنها مما يزيد بها الإيمان.

٣- الصّلاة راحة للنّفس، فإذا أدّاها حقّ أدائها، وجد العبد نشاطا وراحة وسعادة.

٤- الخشوع في الصلاة يكون بالقلب، ثم تتبعه الجوارح.

٥- المؤمن يحفظ نفسه من مخالطة مجالس اللغو بكل أنواعه.

٦- على المؤمن أن يحذر من منكرات الأقوال والأفعال.

٧- على المسلم أن يحفظ وقته فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته.

٨- على المسلم أن يستثمر وقته وجهده وشبابه في أوامر الله، وفي نفع أمته ووطنه، والنهضة بهما.

٩- الجلوس مع أهل الإلحاد والاستهزاء بالدين ومظاهره، هو مشابهة لهم، ومشاركة في باطلهم.

١٠- إن فعل الزكاة يشمل تزكية النفس بالأعمال الصالحة، وتزكية المال بإخراج حق الفقير منها.

١١- في أداء زكاة المال إقامة للركن الثالث من أركان الإسلام، وحفظ للمال من أن يكون فيه ما هو حق للفقراء إن لم يؤديه.

١٢- الزكاة طهرة للمال وطهرة للمزكي من صفة الشح، وهي تعبير عن شكر الله على ما في يديه من رزق.

١٣- المال وديعة في يد الغني جعلها الله في يديه امتحانا له، فيرى الله ما هو فاعل به.

١٤- دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه، وأنه لا سبيل له إلى الفلاح بدونه.

١٥- حفظ الأمانة والعهد من شعب الإيمان، ويشملان كل ما أخذ على العبد، وكل ما كلف به شرعا، وكل ما اتمنه إياه الناس، وكل ما عاقدهم عليه.

١٦- إعادة ذكر الصلاة في آخر الصفات دليل على أهميتها وعظم شأنها.

فهرس المصادر والمراجع

١- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ٩ج، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م)

٢- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ٨ج، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٣- **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ٣٠ جزءا (الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ).

٤- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، ٨ج (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م)

٥- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م)

٦- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ٢٤ج، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

٧- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ٩أجزاء، (تحقيق)

محمد زهير بن ناصر الناصر، (ترقيم) محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

٨- **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ٨ج (دار الفكر – بيروت).

٩- **ذوق الصلاة عند ابن القيم**، عادل عبد الشكور الزرقي، (دار الحضارة – الرياض، ١٤٣٠هـ).

١٠- **سنن ابن ماجة**، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، ٢ج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي).

١١- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٤ج (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت).

١٢- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، ٥ج، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

١٣- **السنن الصغرى للنسائي**، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، ٩ج، (مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

١٤- **غريب الحديث**، القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، ٤ج، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).

١٥- **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه:

خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ١٥ج (المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

١٦- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني اليمني، ٦ج، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ).

١٧- **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ط١٧، ٦ج، (دار الشروق - بيروت- القاهرة، ١٤١٢ هـ).

١٨- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٤ج، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت).

١٩- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى، ١٥ جزء، الطبعة الثالثة (بيروت- دار صادر، ١٤١٤ هـ).

٢٠- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)

٢١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢ هـ).

٢٢- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الأجزاء التي حققها أحمد شاكر: ٨، (دار الحديث – القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

٢٣- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥ أجزاء (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

٢٤- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط٤، ٨ج (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)

٢٥- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ٥ج، (عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).